وأخيرا .. ماذا يريد منا أطفالنا ؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

يبدو أننا اعتدنا على الاهتمام الموسمى بالطفولة . . فما أن يهل هنا شهر نوفمبر من كل عام حتى تحتشد الطاقات المخلصة ـ وغير المخلصة ـ لتقديم ما لديها للطفل . . نظرياً وعملياً وما أن يغلق نوفمبر أبوابه حتى تعود كل طاقة إلى مكمنها . . وإن بقى منها شىء فهو من قبيل ذرّ الرماد فى العيون . .

والطفل ليس أعياداً أو مؤتمرات ولا شهراً واحداً فى العام . . وإنما هو هموم الكبار كل شهر وكل يوم وكل ساعة . .

والأطفال يريدون منا الكثير . . وفرق كبير بين ما نريد نحن أن نقدمه إليهم . . وما يريدون هم أن نقدمه نحن إليهم . .

ـ إن الأطفال يريدون منا ألا نفترض غباءهم ونحن نتعامل معهم . . بل يسعدهم تماماً أن ننظر إليهم كما تنظر إليهم الدول المتقدمة ـ على أن الطفل رجل صغير . . له حقوقه التى تتلاءم مع مراحل عمره ـ بل يود لو نساعده بإخلاص على تنمية ملكاته وقدراته وخياله واستماعه بحياته ونساعده أيضاً على أن يضيف الكثير إلى قاموسه اللغوى وإلى معارفه بالقدر الذى يمنحه تميزاً فى شخصيته .

ـ ويريد منا الأطفال أن نعيدهم إلى بيئتهم العربية الإسلامية التى تلتزم العربية ـ لغتها الأولى ـ وتراثهم العريق الأكثر ثراء فى قيمه عن أى تراث آخر . . لأنه يجمع بين الأصالة والمعاصرة . . وأطفالنا ولاشك حائرون بين عربية فصحى تقدمها لهم كتب المناهج الدراسية والكتب الثقافية وبين مزيج من الفصحى والعامية فى وسائل الإعلام المختلفة . . وبين شارع يجمع بين شظايا وتناقضات ومتبذلات لغوية وشرائط كاسيت وفيديو . . وأعمال أخرى تغزوها مصطلحات وإيحاءات يعافها الذوق العام . . لهذا فأطفالنا يعانون فى تصورنا ـ إنشطاراً لغوياً ـ وبيدنا ـ نحن الكتّاب ـ مسئولية أن نعيد إليهم شخصيتهم (اللُّغوية) من خلال الفصحى المبسطة الجميلة ومن خلال أعمال تستمد مادتها من تراثنا العظيم بانتقاء واع جاد . .

ـ ويريد منا الأطفال أن نيسر لهم المعارف الجديدة فى مجالات العلوم والتكنولوجيا والكمبيوتر والألكترون والبحوث العلمية المختلفة حتى لا يكونوا متخلفين عن غيرهم من أطفال العالم .

ـ ويريد منا الأطفال أن نقدم لهم ألوان الثقافة الأدبية الممتعة بلا خوف . . وأن نهتم بتقديم الشعر والموسيقى والمسرح تماماً كاهتمامنا بالكتاب القصصى . . فالمعروف أن الطفل يولد مزوداً بأجهزة وعى جمالية تتذوق الفن . . والفن يجمِّل الحياة . . وينمِّى الموهبة . . والخيال . .

ـ ويريد منا الأطفال أن نستطلع رأيهم . . قبل وفى أثناء وبعد أن نقدِّم لهم ما نريد . . إنهم يريدون أن نشركهم فى خططنا التى نضعها لهم . . وأن يكون لهم وجود ـ بشكل ما ـ فى مؤتمراتنا ولقاءاتنا . . لأن الطفل هو (المستهلك) الأول (لسلعة) الثقافة التى نقدمها نحن الكبار . .

ـ ويريد منا الأطفال أن نقدِّر إبداعاتهم فى المجالات المختلفة وأن نعطيهم جانباً من الاهتمام وقدراً من الوقت . . لينطلقوا إلى الإبداع مسلَّحين بالمعرفة والوعى والإحساس العميق الجمال . .

ـ ويريد منا الأطفال أن نفكر كثيراً وندقق ونحن نترجم لهم ونعطيهم تلك القوالب الجاهزة المستوردة التى تخالف كثيراً من قيمنا وتقاليدنا وثقافتنا . . والأمر هنا لا يمنع ولا يحظر على الترجمة والتعرف على ثقافة غيرنا . . وإنما يتعلق بالتروى والتوازن والتدقيق والانتقاء جميعاً . .

ـ ويريد منا أصحاب الظروف الخاصة ـ الذين امتحنهم الله فى واحدة أو أكثر من حواسهم أن نشعرهم بأهمية الإرادة الإنسانية . . والقدرة على التحدى والصبر والشجاعة فى المواجهة . . وقهر العجز . . فتستحيل قواهم ومشاعرهم إلى قوة وبطولة وعطاء . . ويريدون أيضاً أن نسوق إليهم الأمثلة والنماذج والقدوة من التاريخ القديم والمعاصر بما يجعلهم يقدمون على الحياة بابتسامة واختراق وتحد[1] . .

(١) اهتم المؤلف بأصحاب الظروف الخاصة من زمن طويل . . فقدم فى إذاعة البرنامج العام طوال عام ١٩٨٢ برنامج (التحدى) بصورة درامية لاثنين وخمسين شخصية عربية وعالمية قهرت العجز . . كما =

ـ ويريد منا أطفال الريف المصرى أن نضعهم فى دائرة اهتمامنا ونحن نضع خطط الطفولة بهدف تقريب الفجوة الشديدة بينهم وبين أطفال المدينة . .

ـ ويريد منا أطفال مرحلة الحضانة (رياض الأطفال) اهتماماً أكثر . . نابعاً من مبدأ (الثقافة تبدأ بالطفل) وهذه المرحلة تعانى تشتتاً فى قيادتها وتبعياتها ومناطق المسئولية والإشراف عليها . . ولا سبيل إلى إصلاح مشاكلها بغير توحيد الجهود وجهات الإشراف والخطة الاستراتيجية المتكاملة الثقافية والصحية والاجتماعية للنهوض بهذه المرحلة . .

وأخيرا . . وليس آخراً . . .

يريد الأطفال من كُتَّاب الأطفال . . أن يجتمعوا على محبة الطفل . . وأن يكفُّوا هذا الصراع الخفى والظاهر . . وهذه الحروب الضارية الدائرة فى ساحة الطفولة بلا طائل وبلا جدوى . . والتى تولِّد الكراهية والأحقاد . !

بل يريد الأطفال ألا ترتبط صراعات الكتاب هذه بالقدرة على اكتساب أكبر قدر من المنافع (على حساب الطفل المسكين) بل لعلى فى النهاية أندهش وأتساءل : كيف يمكن أن يعطى الخير من يفتقده ؟ كيف يمكن أن يدعو إلى القيم من يكفر بها ؟ . . كيف

أشرف على إصدار سلسلة (عظماء عاشوا بالأمل) عن دار المعارف . وأصدر كتاب (مسلمون قهروا العجز) يضم عشرين شخصية من السلف الصالح المسلم ـ نشر الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة . .

يعطى الكاتب حباً للطفل وهو لا يعرفه ؟!!

إننى أتمنى أن تخمد هذه المعارك المفتعلة . . فالساحة تتسع للجميع . . وللتجارب المتنوعة الجديدة كل على قدر طاقته وإخلاصه ـ بل أكاد أؤكد أن مجال الطفولة هو المجال الوحيد الذى يتطلب أكثر من غيره . . إخلاصاً وإبداعاً وصفاء قلب ومحبة . . بعيداً عن المراوغة وتصفية الحسابات !

فهل نحن جادون فى تحقيق كل هذا ؟

أتمنى والله الموفق !!

***